بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفيل

وهي سورة مكية، تبيِّن بالغ قدرة الله تعالىٰ، وتشير إلىٰ نصره للمؤمنين، وذلك من خلال قصة الفيل بقوله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾

يلفت الله عز وجل نظر كل عاقل ـ وإن كان الخطاب مع النبي ﷺ ابتداءً ـ إلىٰ قدرته سبحانه، في رد الظالمين، ودحر المعتدين، والدفاع عن بيته، الذي جعله مثابة للناس، ونقطة الانطلاق لعقيدة التوحيد، وحرية أهل الأرض من كل عبودية لغير الله.

ولكن ماذا فعل ربنا بأصحاب الفيل هؤلاء، الذين قدموا لهدم بيت الله الحرام..؟

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

نعم جعل الله عز وجل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ ومكرهم ﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ وضياع، ودون فائدة أو أية نتيجة، وبذلك: ضاع هدفهم، ولم يتحقق قصدهم.

﴿وَأَرْسَلَ﴾ كذلك ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لإهلاكهم ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ في جماعات كثيرة من جميع الجهات.

فكانت هذه الطيور ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: حجارة مطبوخة بنار جهنم، وليست بنار الدنيا، وبذلك: هلكوا.

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ الله سبحانه بقدرته ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ورق الشجر الجاف، الذي

لا وزن له ولا قيمة ولا فائدة، وهكذا ضاعوا وضاع سعيهم.

وهو: تهديد دائم لكل ظالم يتجاهل قدرة الله عز وجل، ويتناسىٰ شرعه ودينه، ويبغي علىٰ عباده وخلقه.

ونلاحظ: أن ما حدث لأصحاب الفيل الظالمين، وإهلاكهم يوضِّح سُنَّة إلٰهية، وقاعدة ربانية في فعل الله عز وجل في الطغاة في أي عصر، وأي مِصر!!

حيث إنه تبارك وتعالىٰ قد فعل ما فعل معهم؛ لإيلاف أهل هذا البيت الحرام، وهم قريش، حيث توضِّح ذلك السورة التالية: «سورة قريش».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

وسورة قريش مكية، وتبدأ بقول المولىٰ سبحانه:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾

أي: كان ما فعلناه من إهلاكنا لأصحاب الفيل المعتدين ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ تأمينهم وسلامتهم في إقامتهم حول بيت الله الحرام.

وكذلك: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ خلال رِحْلَةِ تجارتهم في ﴿ٱلشِّتَآءِ﴾ إلىٰ اليمن جنوبًا ﴿و﴾ رحلة ﴿ٱلصَّيْفِ﴾ إلىٰ الشام في الشمال.

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

أي: كما جعل لهم حرمًا آمنًا؛ فليشكروا الله علىٰ هذه النعمة العظيمة، بالتوحيد والعبادة.

نعم، ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ فهو ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم﴾ ويطعمهم ﴿مِن جُوعٍ﴾ وهو الذي ﴿ءَامَنَهُم﴾ ويؤمنهم ﴿مِّنْ﴾ كل ﴿خَوْفٍۭ﴾.

ولقد أسلمت قريش فزادها الله خيرًا، وزادها أمنًا، وهو درس لكل مَن يعتزون بالإسلام، ويلتزمون بتعاليمه وأحكامه.

ولمَّا أمر المولىٰ هنا بالعبادة، وامْتَنَّ بإطعام الجائع، عاب مَن سها عن العبادة، وذم مَن بخل فلم يطعم الجائع، وذلك في السورة التالية وهي: «سورة الماعون».

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الماعون

وهي سورة مكية، تبدأ بقول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾

يعني: هل رأيت وعرفت الذي يكذب بالدين؟

إن كنت لا تعرف، فهذه علاماته، وهذه أوصافه:

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾

﴿فَـ﴾ هو ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي يكذب بالدين، ولا يعمر به قلبه، ولا تستنير به جوانبه، كما أنه:

أولًا: ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ﴾ أي: يقهر اليتيم، ويعنِّفه، ويظلمه، ولا يحسن إليه.

ثانيًا: الذي: ﴿لَا يَحُضُّ﴾ أي: لا يأمر ولا يشجِّع، فضلًا عن بخله هو ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ وهو الفقير، الذي لا يجد شيئًا يقيم به حياته.

ومن العجيب: أنَّ هذا الذي يكذب بالدين، قد يصلي أحيانًا.

ولكن، هل يخفىٰ ذلك علىٰ الله تعالىٰ؟

كلَّا، ولذلك يكمل ربنا باقي صفات هذا الذي يكذب بالدين، إذ يقول الله تعالىٰ:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

ثالثًا: إنه منافق.

نعم، هو يكذب بالدين، حتىٰ ولو كان يصلي أحيانًا، حيث إن هؤلاء المصلين منهم مَنْ يكونون: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي عن أدائها غافلون، وعن ما تؤدي إليه وتثمره من خير في المرء بعيدون، كما أنهم بها ﴿يُرَآءُونَ﴾ الناس، ولا يخلصون فيها لله تعالىٰ.

وكذلك: هم للزكاة لا يؤدون، بل أكثر من هذا، ﴿وَيَمْنَعُونَ﴾ عن الناس ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ فهم في تعاملهم: يأخذون ولا يُعطون.

وبهذا: فمن الواضح أن الذي يكذب بالدين يتصف بهذه الصفات:

١ ـ قهر اليتيم وظلمه، وعدم الإحسان إليه.

٢ ـ البخل، وعدم الحث علىٰ طعام المسكين.

٣ ـ ترك الصلاة، أو الإهمال في أدائها.

٤ ـ المراءاة بها، وعدم الإخلاص لله تعالىٰ فيها.

٥ ـ البخل، وسوء التعامل مع الآخرين.

ومن الواضح كذلك: أن مَن يتصف ببعض هذه الصفات، له من التكذيب بالدين نصيب.

هذا: ويتعطف المولى سبحانه وتعالى علىٰ عباده بعرض الصورة المقابلة لهذا الذي يكذب بالدين، وذلك في السورة التالية، وهي: «سورة الكوثر».

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكوثر

وسورة الكوثر مكية، وهي تبدأ بقول ربنا تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

يعني: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ يا محمد؛ إنعامًا منا لك، وتفضلًا عليك: ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ وهو الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

لذلك: ﴿فَصَلِّ﴾ مخلصًا في صلاتك، وكل عباداتك ﴿لِرَبِّكَ﴾ وحده سبحانه ﴿وَٱنْحَرْ﴾ كذلك باسمه وحده، لا كما يفعل المشركون.

هذا، ولا تتأثر بما يفعله معك، ولا بما يقوله عليك أعداؤك وكارهوك، حيث ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ المقطوع، الذي لا خير فيه، ولا خير له.

فالذي يشرِّفه ربه بهذه المنزلة العالية، هو الذي يتمسك بدينه، ويرفع لواءه، ويعمل علىٰ نصرته.

وهو الذي يساومه الأعداء ـ في الوقت ذاته ـ علىٰ التهاون في هذا التمسك، وعلىٰ التراخي في هذه المناصرة.

ولذلك: جاءت السورة التالية تبيِّن لهذا المسلم القوي الطريق الواضح الذي ينبغي له أن يسلكه مع هؤلاء الأعداء.

وهذه السورة هي: «سورة الكافرون».

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكافرون

وهي سورة مكية، يقول فيها رب العزة للنبي ﷺ، ولكل فرد من أمته:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾

قال المشركون للنبي ﷺ: هيا بنا تعبد أنت ما نعبد، ونعبد نحن ما تعبد!!

فإن كان ما نعبد خيرًا: أصبت منه معنا، وإن كان ما تعبد خيرًا: أصبنا منه معك، فأنزل الله تعالىٰ هذا السورة.

والمعنىٰ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المُصِرُّون علىٰ كفركم: اسمعوا مني، واعرفوا موقفي.

فأنا ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ حاليًا ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام وغيرها.

﴿وَلَآ أَنتُمْ﴾ فيما أثق وأعلم من ربي ﴿عَٰبِدُونَ﴾ حاليًا ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله الواحد رب العالمين.

وقل لهم أيضًا: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ فيما يأتي من الزمان أبدًا ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أنتم.

﴿وَلَآ أَنتُمْ﴾ فيما أثق وأعلم من ربي ﴿عَٰبِدُونَ﴾ فيما يأتي من الزمان أبدًا ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ أنا.

ختامًا: سلِّم الأمر- أمام إصرارهم وعنادهم- لله، وقل لهم:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

أنتم كفرتم باختياركم، فاتركوني وديني.

وبعد هذا الصراع بين الحق وأهله من جهة، وبين الباطل وأهله من جهة، يبيِّن ربنا: أن النصر لأهل الحق آت لا محالة، وذلك في السورة التالية، وهي: «سورة النصر».

* * *